الأنشطة الفلاحية بالأندلس في الدراما التلفزيونية

د. عزيز زروقي
المغرب

ملخص:

تعتبر كتب الفلاحة مصادر تاريخية مهمة تؤرخ لتطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي عاصرتها، وتشكل سلسلة متصلة تربط بين مختلف الحضارات. كما تعكس هذه المؤلفات مستوى التطور الذي عرفته الشعوب والحضارات في مجال التقنيات منذ الفترات الضاربة في القدم وإلى الآن، ويبدو أن المؤلفات الفلاحية قد وجدت أرضية خصبة في حوض البحر الأبيض المتوسط منذ الفترة القديمة قبل أن تنتقل إلى الفترة الوسيطية، وتترعرع في الأندلس على الأخص التي استفاد علماء الفلاحة بها من التراث اليوناني واللاتيني. وهذا ما يدعم الأطروحة القائلة؛ بأن علم الفلاحة هو: "علم متوسطي" بامتياز أسهمت فيه مختلف الشعوب المتوسطية، لأن الفلاحة كانت في الزمن الماضي دعامة للاستقرار وازدهار الحضارات. إن التراث الفلاحي الإسلامي بالأندلس خلال العصر الوسيط يعد من العلوم الطبيعية التي عرفت تطورا معرفيا ومنهجيا، جعلها تحقق ازدهارا قائم على التجربة بفعل الممارسة الميدانية للزراعة في الحقول والبساتين. بالرغم مما عرفته من تراجع في العهود الأخيرة من العصر الوسيط متأثرة بالتحولات الحضارية للجناح الغربي من الحوض المتوسطي. إلى وقت تحرير هذه المقال، وإلى أجل غير محدد، سيبقى الجدل قائما حول حرية "الإبداع " في التاريخ، من خلال أعمال درامية، وتحديدا الدراما التلفزيونية. مرد جدل واشتباك مفتوح يتأتيان من تناول صناع الدراما للتاريخ، والآفاق التي يمكن أن يصلوا إليها في معالجتهم للمادة التاريخية، بما قد يخالف ما هو ثابت تاريخيا، سواء أكانت الحجة في ذلك هي تصحيح رواية تاريخية مغلوطة، أو الانتصار لوجهة نظر معينة في تفسير التاريخ، أو حتى تقديم رواية جديدة للوقائع التاريخية. يتجدد الاشتباك بيني كباحث في التاريخ، ومخرج ثلاثية الأندلس، أنا أنتصر للتاريخ، وهو يذود عن حرية الابداع، فيتمخض عن هذا الاشتباك ثنائية المرجعي والمتخيل.

كلمات المفاتيح: الفلاحة– مصادر تاريخية– الحياة الاقتصادية والاجتماعية– حوض البحر الأبيض المتوسط– الفترة الوسيطية– الأندلس– دعامة للاستقرار وازدهار الحضارات– التراث الفلاحي الإسلامي بالأندلس– العصر الوسيط– الحقول والبساتين– حرية "الإبداع " في التاريخ– أعمال درامية– الدراما التلفزيونية– صناع الدراما المادة التاريخية– المخرج حاتم علي– ثلاثية الأندلس– حرية الابداع– ثنائية المرجعي والمتخيل.

Summary:

Books on agriculture are considered important historical sources that chronicle the development of economic and social life that they lived in, and they form a connected chain linking various civilizations. These writings also reflect the level of development experienced by peoples and civilizations in the field of technology from ancient times until now. It seems that agricultural writings have found fertile ground in the Mediterranean basin since the ancient period before moving to the Medieval period. It grows in Andalusia in particular, where agricultural scholars have benefited from the Greek and Latin heritage. This supports the thesis that agriculture is a "Mediterranean science" par excellence to which various Mediterranean peoples have contributed, because agriculture was in the past a pillar of stability and prosperity of civilizations. The Islamic agricultural heritage in Andalusia during the Middle Ages is considered one of the natural sciences that witnessed cognitive and methodological development, which made it achieve prosperity based on experience due to the field practice of agriculture in the fields and orchards. Until the time of writing this article, and for an indefinite period, the controversy will remain about the freedom to "create" in history, through dramatic works, specifically television drama. It is the result of open controversy and clashes that come from drama makers' handling of history, and the horizons they can reach in their treatment of historical material, in a manner that may contradict what is historically established, whether the argument for that is to correct a false historical narrative, or to champion a particular point of view in interpreting history. Or even provide a new account of historical facts. The clash between me as a researcher in history and the director of the Andalusia trilogy, I Defeat History, is renewed, and it defends freedom of creativity. This clash results in a duality of reference and imagination.

Keywords: agriculture - historical sources - economic and social life - the Mediterranean basin - the medieval period - Andalusia - a pillar of stability and prosperity of civilizations - the Islamic agricultural heritage in Andalusia - the Middle Ages - fields and orchards - freedom of "creativity" in history - dramatic works - television drama - Drama makers, historical material - director Hatem Ali - Andalusia Trilogy - freedom of creativity - duality of reference and imagination.

مدخل:

يقصد بالتاريخ الاقتصادي للأندلس مجموع الوقائع والتقنيات والنظم والأنماط الإنتاجية والخدماتية المتعلقة بتوفير السلع، وحجم المنتوج، وتوزيعه، واستهلاكه وفق منظور علائقي يدمج بين قوانين الملكية والحيازة، والنظام الجبائي، والعملة، والعقود، والالتزامات، وأنواع البيوع، حسب كل نشاط من الأنشطة الاقتصادية الثلاثة بالأندلس خلال العصر الوسيط: الفلاحة والصناعة والتجارة[1].إن التكامل الذي حصل بين القطاعات الفلاحية والتجارية والصناعية، قد سمح بانتقال ثقل الحركة الاقتصادية من البادية إلى المدينة. فشكلت الحواضر بالأندلس مراكز حيوية لممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية، في وقت لم تعرف فيه أوروبا، ببنياتها الفيودالية، حركة التمدين سوى في حدود ضيقة. "تأثر الاقتصاد الأندلسي بالتحولات المناخية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، مما يؤشر لتلازم الظرفي والبنيوي في تاريخ هذا الاقتصاد. وهكذا، كان لفترات الأزمة دورها البين فيما شهده القطاع من نكوص وتراجع، حيث تدهورت الأوضاع الاقتصادية في قرطبة خلال مرحلة الانتقال من حكم المرابطين إلى الموحدين، وطحنتها الفتنة، وغيرها من حلول المصائب والأحداث، مع اتصال الشدائد على أهلها[2].

تعتبر الفلاحة من أهم النشاطات التي بني عليها الاقتصاد بالأندلس، لأنها بمثابة العمود الفقري الذي يمد الدولة بالثروة التي ترتكز عليها في بناء سرح كيانها وقوتها؛ كما تعتبر من أهم الحرف التي عرفها الإنسان ومن أقدمها، فهي أهم المصادر التي بواسطتها يؤمن قوته؛ كما يرفد هذا النشاط ورشات الحرفيين بالمواد الأولية المختلفة التي لا تستغني عليها صنائعهم وحرفهم، وتوفر للتجار السلع التي تحرك عجلة السوق، وتسافر بها الركبان إلى البلاد البعيدة طالبة الربح الجيد؛ وهي بهذه التجليات منبع اقتصادي يختل وضع المجتمع والدولة لنضوبه أو تذبذب صبيبه. شكلت الفلاحة أحد أهم القطاعات التي قام عليها اقتصاد العالم الإسلامي المشرقي والمغاربي والأندلسي، وتطورت بفعل إحياء الأراضي الموات واستصلاحها واستنباط المياه الخفي، وإقامة المنشآت المائية على الينابيع والأنهار، ومد قنوات الري. استفاد علماء الفلاحة المسلمون من علوم الأوائل في التأثيث لمعرفتهم بالفلاحة النظرية، وكان لازدهار الترجمة بالغ الأثر في ذلك. كما استفادوا من تجاربهم الشخصية في الفلاحة العملية، ومن مشاهداتهم أثناء رحلاتهم الاستكشافية، وما رووه عن العارفين بأسرار صنعة الفلاحة، قبل أن يساهموا في إغناء التجربة الإنسانية بالكثير من الإضافات، ويخلفوا تراثا فريد القيمة، لا يزال أغلبه مخطوطا في مختلف خزانات العالم، يحتاج إلى من يعيد إليه ما يستحقه من اعتبار وعناية[3].

عناصر كثيرة ساعدت على جعل من بلاد الأندلس بلدا زراعيا بامتياز، فقد أسهمت المؤهلات الطبيعية من اعتدال المناخ وخصوبة التربة، ووفرة المياه بالإضافة إلى الموقع الجغرافي والتداخل المستمر بين الإ سلام والمسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية في منح بلاد الأندلس طابعاً فريدا وشخصية مستقلة ومتميزة تجمع بين مؤثرات الشرق والغرب. وإذا كان لهذا التداخل والتمازج نتائج واسعة على المستوى السياسي، والحضاري فإن ما ترتب عنه على مستوى الفكر والعلوم كان أكثر مميزا وإشعاعا. ولا أدل على ذلك مما أحدثه كتاب (ديسقوريدس) في الحشائش والأدوية[4] من تأثير هام في تطور الدراسات النباتية والطبية في الأندلس. وبالنظر إلى هذه المعطيات مجتمعة فإن البحث في الفلاحة وكل ما يتعلق بها قد حضي باهتمام بالغ، وخير دليل على ذلك أن الزراعة وصلت في بلاد الأندلس مستوى لم تعرفه قط باقي مناطق العالم، ولا حتى سائر البلاد المعروفة آنذاك. وهذا ما يفسر كثرة المؤلفات الفلاحية التي وضعت في الأندلس خلال الحقبة الممتدة ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين من جهة، ونبوغ معظم علماء النبات والزراعة المسلمين في الأندلس من جهة ثانية[5].

يتسع هذا التراث المتميز ليشمل كتب الفلاحة والنبات والطب والبيطرة والصيدلة والعطارة. "فأما كتب الفلاح والنبات، فكان التطابق هو السمة الطاغية على المعلومات الواردة فيها، فقد حظيت مضامينها بعناية خاصة. وكانت مسألة تأصيل معلوماتها، وبيان حدود التجديد والتقليد فيها، وتتبع التطورات التي عرفتها. وقد تم التركيز في هذا السياق على ما شهدته الأندلس من طفرة كمية ونوعية في مجال التأليف الفلاحي في القرنين الخامس والسادس الهجريين (11 و 12 م)، وعلى الأسماء التي نبغت في علم الفلاحة بها في تلك الفترة من أمثال: **ابن بصال** و**ابن وافد** و**ابن حجاج** و**الطغنري** و**أبو خير الإشبيلي** و**ابن العوام** وغيرهم.... فتحفل بإشارات نفيسة عن أوقات السنة والأزمنة والأنواء وتوالي الأشهر الشمسية، وخصائص كل شهر وما يوافق أيامه في الفلاحة، واستنباط المياه وقودها، وأنواع الأتربة وكيفية قليبها وحرثها

وتسميدها. فضلا عن العناية بانتقاء البذور والفسائل وغرس الأشجار ذوات الظلال الوارفة لتلطيف جو المنتزهات، والأزهار والرياحين لتجميل الحدائق والبيوت، والأشجار المثمرة لتزيين موائد الميسورين بألوان الفواكه. ..الخ. كما تحفل هذه الكتب أيضا بمعلومات قيمة عن تربية المواشي، وتخصيب سلالاتها وتهجينها وما يوافق كلاً منها على حدة من العشب والماء والهواء. وأما كتب البيطرة فيقتصر اهتمامها على الخيل وأنواعها وشياتها والأدواء التي تتعرض لها وكيفية علاجها. في حين تهتم كتب الطب والصيدلة والعطارة بماهية الأعشاب والعقاقير، وخواصها ومنافعها واستعمالها في المشروبات والمشمومات والشيافات والتباخرات، وبقوى الأغذية والأدوية المفردة والمركبة. ولا مراء في أن من شأن الاهتمام بهذا التراث أن يسهم في تطوير البحث في التاريخ الاقتصادي والحضاري للمجتمع الإسلامي، ويعوض النقص الملحوظ في مجال المعلومات الاقتصادية في المصادر التي اعتاد المؤرخ الاعتماد عليها في أبحاثه"[6].

فبخصوص التأريخ للمنعطفات التي شهدها المسلسل التطوري للتراث الفلاحي الأندلسي، أكد البعض على "أهمية القرن الرابع الهجري (10م) باعتباره قرنا منعطفا، وأكد البعض الآخر على أهمية القرن الذي يليه، في حين أعاب فريق ثالث على الاتجاهين معا، اتخاذهما للقرون مدخلا لقراءة التراث الفلاحي، وتقديمهما للعامل السياسي باعتباره عاملا حاسما في تحقيب التطور الذي عرفه هذا التراث"[7]. لقد ابتلت الأندلس كلها البلاء نفسه كلما اتصلت الحروب وغلاء الأسعار، وتوالت الفتن على المجال، وعم الجدب، وقلت المجابي[8]، وكان القطاع الفلاحي أكثر القطاعات تضررا من العواصف والفيضانات والقحوط ومختلف الجوائح، فقد سقط بسرقسطة أيام "بني هود" برد عظيم، حطم أغصان شجر الكمثرى حتى تركها جذوعا دون أغصان[9]. وفي سنة 747 هـ / 1346م تأخر نزول الأمطار طيلة فصل الشتاء بعموم الأندلس، ولم يتح فيه الغمام قطرة، ولا لمعت السماء بنزعة حتى توقفت البذور[10]. وإذا أضفنا إلى هذا انتشار الجراد والأوبئة، أدركنا تداخل العوامل المخلة بالفلاحة والصناعة والتجارة، والمفضية إلى الغلاء والمجاعات[11].

اقترحت أن يكون هذا الموضوع جديرا بالبحث والدراسة، رغم ما يكتنفه من صعوبات منهجية وتاريخية، فضلا عما يتطلبه من جهد في التنقيب عن حفريات المادة العلمية. فهل فعلا استطاع كل من مسلسل" صقر قريش" و"ربيع قرطبة" و" ملوك الطوائف" لمخرجه **حاتم علي** أن يقف عل بعض من خصائص الأنشطة الفلاحية بالأندلس؟ فالمشاهد التي استعرضتها كنماذج للأنشطة الفلاحية بالأندلس في الدراما التلفزيونية قد حاول فيها المخرج **حاتم علي** الاستعانة بالأهمية التي تكتسيها كتب الفلاحة والنبات، كونها قد ركزت على إنسية التجربة الفلاحية في مختلف الحضارات، ونهلت اللاحق فيها عن السابق، وعلى ما قامت عليه من مزاوجة بين النظري والعملي في دراسة التطورات التي عرفها المجتمع الأندلسي في مجال الفلاحة، وتدبير النباتات والمغروسات. إذ حاولت رصد وتحليل بعض المظاهر الحضارية للمجتمع الوسيطي في بعض تجلياته الاجتماعية والثقافية والدينية مستحضرا العلاقة بين التراث العربي، والتراث الفارسي، والهندي والسرياني، والإغريقي اللاتيني والقبطي. والتي جعلت من علم الفلاحة الأندلسية تراثا إنسانيا نهل فيه أصحابه من مؤلفات غميسة؛ سافروا وسألوا واستفسروا وجمعوا وجربوا ولاحظوا قبل أن يدونوا مجرباتهم في مصنفات علمية.

حاولت قدر الإمكان العمل على فحص مضامين ما قدمته الدراما التلفزيونية من أنشطة فلاحية وتمحيصها ومقابلتها بالمصادر والدراسات التاريخية، مع الحث على توسيع نطاق المقارنة ليشمل أكبر قدر ممكن من المشاهد التي حضرت فيها الفلاحة القروية قصد توفير المادة الضرورية لعمليتي الرصد والتحلي. أما التقنيات الفلاحية التي تناولتها الدراما التلفزيونية، فحضورها كان باهتا على الرغم من توفر بعض مادته في الكثير من المصادر المخطوطة من جهة، والأبحاث الأثرية في المجالات القروية التي من شأنها أن تسلط المزيد من الضوء. وهو الأمر الذي لم يُمكني من التعرف على جزء ضئيل من التقنيات والأدوات والتجهيزات المستعملة في المجال الفلاحي بالأندلس في العصر الوسيط. ومن ثم، التذكر بضرورة انكباب صناع الدراما المشتغلين بالتاريخ الاطلاع على بعض من المصادر والتقاييد والنصوص المخطوطة ذات الصلة بموضوع الفلاحة.

1- المبحث الأول: الزراعة

الزراعة في المصطلح الأندلسي هي الفلاحة والملح والفلاحة- من الناحية اللغوية- هما الحرث وتشقيق الأرض من أجل الزراعة[12]. والفلاح عند العرب كل من كان يزرع سواء زرع بيده أو زرع له غيره[13]، والمعنى العملي لفلاحة الأرض هو معرفة كل ما يتعلق بزراعة الأرض ومقاومة الآفات، ومعرفة أنواع التربة ومواقيت الزراعة، وغير ذلك[14]. تشمل الزراعة بالإضافة إلى فلاحة الأرض، فلاحة الحيوان والطيور وتربيتها، هذا فضلا عن بعض الأنشطة الأخرى.[15] مما لا شك فيه أن اعتدال مناخ الأندلس وكثرة أنهارها، ونجاح العرب في استثمارها، واستغلال أرضها، وكثرة كتابات العرب على فلاحة الأندلس بعد أن اطلعوا على فلاحة البلدان الأخرى المشتهرة بالفلاحة، أسهم في اتخاذ الأندلسيين من الفلاحة موقفا إيجابيا، فاعتبروها أساس العمران وقوام الحياة، وهو منظور شاركت فيه الدولة والمجتمع، بفضل خبرة الفلاحين التي تجلت معالمها في المعاش اليومي،[16] مما شجع العديد من الباحثين على التنويه ب: "الثورة العربية الخضراء"، و"الثورة الفلاحية بالأندلس"[17].

استندت الفلاحة الأندلسية على جملة من المحددات؛ منها البنية الفكرية التي مكنت كتب الزراعة من تبويب منهجي أدمج الجزئيات المعرفية في كليات نظرية، بفضل البصمات التي تركتها العلوم الطبيعية والتجريبية على الممارسة الفلاحية، مما أسهم في إنتاج خطاب فلاحي زاوج بين البعدين العلمي والعملي والمنفعة، والمتعة في استغلال الحقول. كانت غاية علماء الفلاحة من التصنيف العلمي هو تحرير خدمة الأرض من كل الشوائب غير العقلانية، والاقتصار فقط على ما ذكره الفلاسفة في الفلاحة وعمارة الأرضين وغيرهم من المتقدمين من حذاق الفلاحين[18]. وبذلك يمكن القول إن أهم ما ميز النشاط الفلاحي في الأندلس تنظيرا وممارسة، هو النقد والواقعية والتجريب، بدليل ما تواتر عن الأندلسيين من أنهم يونانيون في استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الغراسات، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة[19].

فماهي العوامل المساعدة على نمو الفلاحة الأندلسية؟ وماهي المحددات التي ارتكزت عليها؟ وما هي البصمات التي تركتها العلوم الطبيعية والتجريبية على الممارسة الفلاحية؟ كيف قدمت لنا الدراما التاريخية الفلاحة؟ هل استطاعت أن تحقق نجاحا يمكن من خلاله أن نطلع على تاريخ فلاحة العصر الوسيط في الأندلس؟ هل يمكن أن نتحدث عن "حقائق تاريخية" أم تخيل تاريخي؟ هل كان غرض المخرج حاتم علي وهو يقدم لنا مشاهد عن الفلاحة في "ثلاثية الأندلس" الحديث عن الفلاحة أم كان هدفه ملء الفراغات الدرامية فقط؟ وكيف قدم لنا الفلاحة؟ وكيف كان موقفه منها؟ هل نوه بها في ظرفية يمكن أن نتحدث في الأندلس عن ثورة عربية خضراء، أو ثورة فلاحية بالأندلس؟ فكيف قدمت المصادر التاريخية الفلاحة الأندلسية في ظل ازدهار تم تحت حكم المسلمين ولم يتم قبل ذلك؟

تضافرت جهود المخرج **حاتم علي** في مسلسل "ربيع قرطبة" ومسلسل "صقر قريش" ومسلسل "ملوك الطوائف"، فحدد لنا ملامح النشاط الزراعي، ويوميات الفلاحين بالحقل، من حرث وقلب الأرض وجني العنب، وجمع محصول السنة من قمح وشعير، وعملية درس وبناء النادر، وجمع محصول القصب، مع استخدام الماء للسقي كجزء من التدخل البشري في بناء سطح الأرض، والذي يؤدي إلى وجود أنماط زراعية مختلفة، لأن المياه بشكل عام هي محور الاستقرار الزراعي. أدرج لنا المخرج كذلك مشاهد حيوانات أليفة: كالبغال لحمل الأثقال والتنقل، لامتيازها بحسن السير وسرعة المشي، وعظم الخلق واختلاف الألوان مع الصبر على الكد والعسف، وتحمل المشاق. والخيل بكثرة في هذا العمل التلفزيوني خاصة في المعارك والحروب والسفر، فقد اهتم أمراء بني أمية بتربية الخيول لدورها العسكري في حفظ البلاد وضبط الأمن فيها، كذلك لاستخدامها في مجال التنقل ونقل البضائع على الطرق البرية الداخلية، نظرا لقوتها وتحملها وعورة هذه الطرق وطول مسافتها. أما الأغنام والماعز فتظهر لنا في مشهدين فقط؛ هل لقلتها في الأندلس وفي المغرب فترة المرابطين؟ أم اختصاص منطقة أو جزيرة بتربيتها دون أخرى؟

أ- نظام وأساليب السقي في الدراما التلفزيونية:

-مشهد النهر والساقية بحصن "طرش"[20]

ب-نظام وأساليب السقي في المصادر والدراسات التاريخية:

- نظام السقي:

حضر الماء في مسلسل "ربيع قرطبة" في مشهدين فقط؛ مشهد يستخدم المزارعون فيه المعاول للتغلب على مجرى مياه الري لتسهيل تدفق المياه عبر الحقل بأسره، ومشهد نهر أو وادي دون الإشارة إلى القنوات، والسواقي، والجسور والقناطر والجداول، والصهاريج، والبرك، والأحواض، والمجاري الثانوية والفرعية، والآبار وغيرها... فبسبب كثرة تساقط الأمطار وخصوبة التربة، كانت الزراعة في الأندلس كلها تقريبا زراعة بورية، وأحسن الأندلسيون استغلال كثرة تساقط الأمطار في المرتفعات الجبلية، فأقاموا النواعير التي يديرها ماء النهر التي تستخدم في نقل المياه من مصادرها إلى اليابسة لتنقل فيما بعد إلى مناطقهم الزراعية، وقد توفرت مثل هذه النواعير الخطارات والسواني في معظم مدن وقرى الأندلس التي تقع على الأنهار، والتي لم نشاهدها بتاتا في ثلاثية الأندلس. فكان لاختلاف الظروف الطبيعية في الأندلس وتباين التضاريس والمناخ، وتذبذب للمياه أثره في حتمية وجود نظام جيد للري، لضمان إنتاج زراعي آمن على مدار السنة. **فماذا عن أهمية الري وكيف أثر على الفلاحة الأندلسية؟**

كان نظام الري أحد أعمدة التركيبة الاقتصادية والاجتماعية في البادية الأندلسية، فاستخدام الماء كجزء من التدخل البشري في بناء سطح الأرض، أدى إلى وجود أنماط زراعية مختلفة، كما أن المياه بشكل عام هي محور الاستقرار الزراعي والتنمية البشرية، وإدخال محاصيل جديدة[21]، وعنصرا فعالا في إصلاح الأراضي القاحلة والمجدبة[22]. تضاعفت أهمية الري في المناطق شبه الجافة لدرجة أن البعض يعتبره السمة الرئيسية المنظمة للمجتمع في تلك المناطق، كما أنه أثر على هيكل وشكل وتركيبة السلطة من خلال إنتاج الفائض المحلي الذي يتحول بعد ذلك إلى رمز للقوة والمكانة في العالم الخارجي[23].

اعتمد الفلاحون تقنيات وأساليب معينة في الري لتوفير المياه التي استخدمت بحكمة بالغة على عدة مستويات وفي أغراض مختلفة، كما كانت الحال بالنسبة لمياه "العيون الاستشفائية" التي استغلت أولا في أغراض الاستشفاء والري، وكذا مياه الحمامات، التي كانت تصرف بعد

استخدامها لري بعض الأراضي والمزروعات[24]. واكب ذلك فهم الفلاحين للعلاقة بين الماء والأرض، فللماء خواص ومراتب ودرجات عديدة فهناك مياه لا تصلح إلا لري الأراضي وأخرى تستخدم في الشرب،[25] ومياه الأمطار تأتي في المرتبة الأولى من حيث ملاءمتها لمعظم النباتات، خاصة الخضروات لخواصها المعتدلة، وجودة امتصاص التربة لها، وتقاربها مياه الأنهار لما تتميز به من الجريان، وحمل بعض المواد العضوية النافعة، وقتل بعض الحشرات الضارة. أما مياه الآبار والعيون فتلائم بعض النباتات على الخصوص مثل: الجزر والفجل واللفت، وتتميز باعتدال حرارتها في الشتاء والصيف رغم بطء التربة في امتصاصها[26]. لقد أثر الإدراك العميق لأنواع وخصائص المياه تركيز الفلاحين على زراعة الخضروات والبقول والفواكه والحبوب في مناطق معينة[27]. وعلى نفس النهج استفاد الفلاحون من المياه المالحة في ري بعض النباتات التي تناسبها، مثل: الكتان، والقرع، والحنة، والسبانخ، والخس، وبعض الزهور.

– أساليب السقي:

استخدم الفلاحون وسائل عديدة للري للتغلب على مشكلة نقص المياه، وتباين سطح الأرض في بعض المناطق، مثل: القنوات، والسواقي، والجداول، والصهاريج، والبرك، وغيرها... كلها مرادفات لشيء واحد مع اختلافات يسيرة، وكان منها قنوات أو سواقي أولية وأخرى فرعية وثانوية، وقناة الري الأولية عبارة عن مجرى مائي محفور بطريقة صناعية، يأخذ المياه من النهر مباشرة عن طريق فتحة أو سد Presa o Boquera، تتفرع منها شبكة من القنوات أو السواقي الفرعية تحمل مياه الري إلى الحقول، التي يتفرع منها بدورها مجار ثانوية داخل الحقول. تتميز المجاري بعدم الاستمرارية والثبات إذ كان يجري تجديدها عقب كل حرث أو عزق أو حتى بعد هطول الأمطار، وهي عبارة عن خطوط متوازية يصنعها الفلاح باستخدام المحراث وتتباعد فيما بينها من ثلاثة إلى خمسة أمتار، وذلك لتسهيل تدفق المياه عبر الحقل بأسره[28]. كان الفلاحون يعملون كذلك على تغطية بعض القنوات الفرعية بالحجارة لاستخدامها كطريق إلى الحقول في نفس الوقت التي تستخدم فيها للري[29].

كانت الزراعة بالأندلس كلها تقريبا زراعة بورية بسبب كثرة تساقط الأمطار، وخصوبة التربة، كما هو الحال بمدينة (ألمرية) و(قرطاجنة) التي يثمر بها الزرع بالمطر[30]. لكن في بعض المدن الأندلسية استخدم المزارعون وسائل مختلفة للري وتقنيات مطورة أتتهم من المشرق[31]، فقد أصلحوا وسائل الري القديمة، وبنوا السدود، وشقوا القنوات والأنهار، وأقاموا عليها الجسور والقناطر وغيرها[32]. أقام الأندلسيون النواعير التي يديرها ماء النهر التي تستخدم في نقل المياه من مصادرها إلى اليابسة، لتنقل فيما بعد إلى مناطقهم الزراعية، وقد توفرت مثل هذه النواعير في معظم مدن وقرى الأندلس التي تقع على الأنهار[33].

انقسمت الأراضي المزروعة في الأندلس إلى نوعين: أحدهما أراضي تزرع دون ري اعتمادا على مياه الأمطار (زراعة بعلية)، والأخرى يمكن سقيها سواء من الأنهار أو الآبار (زراعة سقوية)، والملاحظ أن النوع الأول يطغى على قسم محدود من الأندلس، ويمتاز نظام الري فيه على ضرورة حفر قنوات وترع لتوصيل المياه إلى الأراضي، وإقامة السدود لضبط جريان الأنهار والتحكم فيها، وإقامة الخزانات أو الصهاريج لحفظ المياه والانتفاع بها وقت الحاجة، كما هو الحال في صهاريج قصبة ألمرية. أدرك الأندلسيون ذلك، ولهذا السبب اتخذوا التدابير اللازمة في معظم المناطق من مياه الأنهار أو العيون أو الآبار[34].

لم يكتف المزارعون الأندلسيون الاعتماد على مياه الأمطار والأنهار والعيون، بل قاموا بحفر العديد من الآبار خاصة قرب بساتينهم ليضمنوا لها مصدرا هاما من مصادر مياه الري، وذلك في تلك المناطق البعيدة عن مجاري الأنهار والفقيرة في أمطارها، وكانوا يحرصون عند حفر البئر، وأن يكون في موضع مرتفع من البستان ليصل الماء سريعا إلى جميع الأنحاء وبالذات المنخفضة منها.[35] استفاد الأندلسيون من مياه الآبار في ري المزروعات وخاصة في بعض الجهات التي لا يوجد بها أنهار حيث نقلوا مياه الآبار باستخدام الدواب، وتسمى هذه الطريقة "بالسواني" ومفردها سانية Acena[36]. أما الخطارات فكانت أيضا من آلات رفع المياه، وهي نوع من الدواليب الخفاف[37].

اعتمد الاستغلال الزراعي على نظم جمعت بين الوظيفتين الإنتاجية والاجتماعية، وأهمها المزارعة، والمغارسة، والمساقاة[38] التي تحيل على أهمية نظام الري في تطوير النشاط الفلاحي، مما يرسخ البعد التدبيري للسقي، بجوانبه التقنية والقبلية والمؤسساتية، والذي تجد في وكالة السقاية التي تولاها **مبارك ومظفر** العامريان زمن الخلافة الأموية بالأندلس[39]، ومحكمة المياه (ببلنسية) باعتبارها نموذجا عمليا للتشريعات المتعلقة بالتنظيم القانوني والإداري للسقي. تمت إقامتها بشرق الأندلس انسجاما مع ما عرفت به هذه المنطقة من تجذر للأعراف المحلية، ودقة هندسية في تقسيم المياه، ومن ثم وزع نهر (توريا) Turia إلى ثمانية جداول لري الحقول على أساس التناوب المتساوي الحصص، تحت إشراف جهاز قضائي زاوج بين الشرع والعرف في تدبير المسألة المائية وقتئذ[40]. أقيمت كذلك المدرجات والمصاطب والأحواض، للسقي بواسطة ضغط الجاذبية[41]. تعدّت هذه الخبرة التقنية الأندلس إلى المغرب، حيث أشرف المهندسون الأندلسيون على مشاريع مائية كبرى، مثل **ابن يونس** الذي زود مراكش المرابطية بالماء بواسطة تقنية الخطارة. والمهندس **أبي الحسن علي بن الحاج** الذي أعاد جر الماء من عين "غبولة" إلى "رباط الفتح" عام 683 هـ/1284م[42].

حظيت مصادر المياه والتقنيات المرتبطة بها بالأولوية في بعض المصنفات الفلاحية والنباتية. وتم التوقف عند المعطيات الخاصة بالفرشة المائية والعيون وتقنيات استنباط المياه، وبناء السدود وحفر الآبار ومد القنوات، بالإضافة إلى رصد تقنيات السقي والآلات المستعملة في رفع الماء؛ كالناعورة والدولاب والشادوف. واعتُمد في ذلك على الربط بين المعرفة النظرية والممارسة التقنية، فتأكد مدى الانسجام الذي طبع العلاقة بين الإنسان ووسطه البيئي، والتلازم الموجود بين الحاجة والابتكار. وكما كان للمياه نصيب وافر في التناول والمعالجة، حظيت كذلك التربة باهتمام خاص وتم استعراض المعلومات الواردة عن الأتربة وأنواع الأرضين في الأدبيات الفلاحية، والوقوف عند بعض العوائق الزراعية التي تتسبب فيها التربة كالملوحة والثقل والانجراف والتشبع بالمياه والتعلك، والعوامل المسببة في تلك العوائق. وهذا ما سأتطرق له في المبحث الموالي.

ت–حراثة الأرض في الدراما التلفزيونية:

–مشهد أبي عامر يحرث الأرض[43]

ث–حراثة الأرض في المصادر والدراسات التاريخية:

بما أن مشاهد الفلاحة قليلة جدا، ويصعب تحديد مكون اليد العاملة التي كانت تشتغل في الزراعة هل هي صاحبة الأرض؟ أم أجيرة؟ مما تتشكل؟ بخصوص التركيبة البشرية للريف الأندلسي، فقد نسج المسلمون والقوط والذميون والصقالبة والأغزاز والعبيد السودان علاقات اجتماعية حول النشاط الفلاحي[44]. فاليد العاملة في الحقول تشكلت من الأكرة والتقنيين والوكلاء وحراس الفدادين الذين كانوا يمارسون مهامهم في البساتين تحت مسؤولية "الأمين"، أو "مقدم الفلاحين"، الذي يشترط فيه الانضباط والمهارة، ما دام أن جودة الإنتاج تستلزم العمل الجماعي المنظم، وحسن توظيف المؤهلين. وتفاديا لما قد يقع من تهاون في العمل من قبل الأجراء، لجأ بعض الملاك إلى التعاقد معهم على أساس "القطعة"، وجلب أولئك العمال من موقف "رجالة الخدمة"[45].

لم يعط المخرج اهتماما بالغا لحراثة وقلب وتسوية أراضي البعل، ولا أراضي الري الدائم وتسميدها، دليلنا على ذلك مشهد واحد في ثلاثية الأندلس **لأبي عامر** يحرث أرضا بمحراث يدوي تجره دابة، علما أن المزارع الأندلسي أدرك منذ وقت مبكر أنواع التربة، الجيد منها والرديء، وخصائص كل منها، وما يصلح لها من النبات، وطرق تحسينها سواء بالري أو التسميد لأنها تزيد من خصوبتها وجودتها.

تتم تسوية الأرض بعد حرثها، حتى يعم الماء جميع أجزائها متساوية، عن طريق استخدام عدة ألات منها: ميزان الماء أو المرجيقل، والقبطال والجفنة، وميزان البناتين، والإسطرلاب، وفي المساحات الكبيرة من الأراضي كان يتم تسوية الأرض باستخدام الجاروف **Aljerife** الذي تجره الثيران[46]. تتلو عملية تسوية الأرض تخطيطها، وكان يجري ذلك على شكلين: الخطوط المستقيمة، وتكون فيها النباتات على خط مستقيم لتقاوم الرياح، ويأخذ كل منها حقه في الهواء والماء بطريقة متساوية. الخطوط المستقيمة هي الشكل الشائع لزراعة الخضروات، أما الخطوط اللولبية **Row** فكانت تستخدم في زراعة المحاصيل الأخرى، وجاء انتشارها من وسط آسيا إلى جنوب إسبانيا. أما في حالة قلة مياه الري كان يجرى تحريض الأرض، أي تقسيمها إلى أحواض شبه متساوية ومتناسقة، وكلما قلت المياه، كلما تناقصت مساحة الحوض، وبين هذه الأحواض كان يجرى شق السروب، والقنوات الصغيرة للري، ويتم ترسيم الحدود بواسطة حبل أو شريط حدودي يمتد على هيئة مستقيمة متمثلا في طريق أو قناة[47].

غابت في الدراما كذلك عملية التسميد والتزبيل، ولا عملية صنع الزبول ومعالجتها، والتي تعالج بها الأراضي الضعيفة، فكل تربة تحتاج إلى نوع من التسميد والذي يوافق السقي. "اهتم الفلاحون الأندلسيون بالتربة التي تعاني نقصا في الخصوبة بالتسميد أو التزبيل، وهي عملية لم تكن تجري بطريقة عشوائية، لأن الفلاحين الأندلسيين كانوا يعرفون أن لكل تربة زبط معين، كما أنهم أدركوا جيدا العلاقة بين التسميد والري، فبعض أنواع المياه تحتاج إلى ذيول مخصوصة، لأن الري والتسميد كانا عاملين أساسيين في تحسين خواص التربة، فمياه الأمطار على سبيل المثال كانت تذهب برطوبة التربة، لذا كانوا يعوضون ذلك بالتسميد الكثير[48].

برع فلاحو الريف الأندلسي في صناعة الزبول ومعالجتها، وتصنيفها في طبقات لتحقيق أقصى استفادة منها واستبعاد الضار منها، وتخزينها لوقت الاستعمال، وتحسين خصائصها بإضافة بعض المركبات إليها، وتخليص البيئة من كثير من المواد الضارة بتحويلها إلى زبول نافعة، واستطاعوا بذلك علاج كثير من أنواع التربة الضعيفة، وتحسين خصوبتها خاصة في أودية الجنوب ذات التربة الصلصالية غير النفاذة التي تحتاج دوما إلى التسميد[49]. **فكيف اهتم الفلاحون في الريف الأندلسي بتقنيات حماية الزروع؟**

ج– الإنتاج الزراعي في الدراما التاريخية:

–مشهد مزرعة بحصن "طرش" يجنى منها العنب في قفاف من القصب وطباق الحلفاء، وبغال وفرسان تحمل المحصول [50]

–مشهد بناء الجرن (النادر) جمع محصول من القمح والشعير ودري بالمدراة [51]

-مشهد رجال يحملون قصب جاف[52]

-مشهد طبق التفاح[53]

ح-الإنتاج الزراعي في الدراما التاريخية:

حضر في الدراما التلفزيونية مشهد حقل شجر الزيتون في اللحظة التي كان فيها **أبي عامر** يحرث أرض هذا الحقل، كونه من المحاصيل الغذائية الرئيسية، ومن الأغذية الأساسية اليومية للفلاحين في البادية الأندلسية، حيث يستخدم زيته في الطهي، لعدم استخدام الشحوم الحيوانية، وهو ما ترك أثرا في الاستخدام الإسباني له اليوم. شاهدت أيضا مشهد الدري والدرس وبناء النادر، وجمع محصول الحبوب أو الغلة التي عرفت انتشارا واسعا في الأندلس باعتبارها من المحاصيل الغذائية الهامة وعماد القوت اليومي لغذاء الفلاحين في البادية.

القمح من أهم الحبوب الغذائية في الأندلس عموما،[54] وكان إنتاجه يكفي تقريبا حاجة الاستهلاك، وقد يتم استيراده أثناء الأزمات من إفريقية والمغرب وبعض المناطق الأخرى. ساعد مناخ الأندلس الجاف على تخزين القمح والغلال بصفة عامة، مما كان يخفف من تأثير النقص الذي كان يحدث فيه إبان الأزمات الاقتصادية، هذا فضلا عن توافر العديد من أصناف القمح التي تلاءمت زراعتها مع تباين المناخ في الأندلس، لدرجة أنها صنفت حسب اللون والسلسلة النباتية ونوعية الدقيق الناتج عنها، والخبز المصنوع منها، وقد ساعد إدخال الري الدائم في الأندلس على يد العرب ازدهار هذه الزراعة وزيادة الإنتاج[55]. أما الشعير أو الشنتيه، فكان يزرع في مناطق زراعة القمح تقريبا واستخدم "أسداستا" كعلف للحيوان، وربما استخدم كغذاء في بعض المناطق القروية خاصة في أوقات الأزمات والمجاعات، يعزز هذا الرأي أن بعض الطبقات في إسبانيا النصرانية كانت تتناوله كغذاء بعد طحنه.

يعتبر الأرز **Arroz** من الحبوب ذات الأهمية في الريف أيضا، وقد ساعد على انتشار زراعته وزيادة إنتاجه في الأندلس إدخال العرب لنظام الري الدائم، خاصة في أرياف (بلنسية) التي كانت من أهم مناطق إنتاجه، حيث كان يحمل منها إلى بقية أنحاء الأندلس، وعول عليه كثير من الفلاحين في غذائهم، بعد أن تضاعف إنتاجه[56]. كما كان يزرع في الريف الأندلسي أيضا العديد من أنواع الحبوب والبقول الأخرى مثل: الفول والحمص والحلبة والترمس، والكرسنة والقرطم والعدس واللوبيا والبصلة، وغيرها.... وكان يمكن تخزينها لفترات طويلة. كانت البقوليات بالإضافة إلى أنها من الأغذية الرئيسية للفلاحين في البادية، تستخدم في زيادة خصوبة التربة، بتثبيت نسبة النيتروجين فيها[57].

أما الزيتون فكان من المحاصيل الغذائية الرئيسية أيضا، وكان من الأغذية الأساسية اليومية للفلاحين في الريف، حيث استخدم زيته في الطهي، لعدم استخدام الشحوم الحيوانية. انتشرت زراعة الزيتون في العديد من المناطق الريفية وكان إقليم "الشرف" ب (إشبيلية) من أشهر مناطق

إنتاجه، حيث انفرد بإنتاج أفضل أنواعه، ليس في الأندلس فحسب، بل في عالم العصور الوسطى آنذاك[58]. أما قصب السكر فهو من المحاصيل التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس[59]، وتركزت زراعته في المنطقة الجنوبية الشرقية.

أدرجت زراعة الكرم أو زراعة العنب أو زراعة النبيذ وبالضبط في مشهد واحد وهو موعد الجني في الدراما التلفزيونية لا أعرف لماذا؟ فالعنب كونه فرع من علم البستنة، فقد أظهر نبات العنب مستويات عالية من القدرة على التكيف مع البيئات الجديدة، وبالتالي يمكن العثور على زراعة الكرم في كل قارة. غالبا ما يشارك مختصي زراعة الكروم بشكل كبير مع صانعي النبيذ، لأن إدارة مزارع الكروم وخصائص العنب الناتجة عنها توفر الأساس الذي يمكن أن تبدأ منه صناعة النبيذ.

الفواكه بأنواعها من المحاصيل الغذائية الهامة، ويأتي على رأسها الكروم، وانتشرت زراعته في مناطق إنتاج الزيتون بالإضافة إلى العديد من المناطق الريفية الأخرى، وكان الأندلسيون يزرعون أصنافا عديدة منه، يتم تخزين بعضها في فصل الشتاء لاستخدامها وقت الحاجة، ويجففون البعض الآخر للحصول على الزبيب[60]. كان التين من الفواكه التي اشتهرت الأندلس بإنتاجه، وأهم مناطق إنتاجه أرياف (مالقة) بكورة (رية)، حيث كان يعم التين المالقي نواحي الأندلس، ويصدر الفائض إلى بقية أنحاء العالم الإسلامي خاصة بغداد، وربما وصل إلى الهند والصين. تميزت أيضا (إشبيلية) بإنتاج نوعين من التين هما: التين القوطي، والتين الشعري الذي لامثيل لهما من حيث المذاق، ومنها كانا يصدران إلى بقية أنحاء الأندلس. كانت أرياف (طليطلة) و(بلنسية) و(شلب) من مناطق إنتاج التين الجيد في الأندلس أيضا[61].

ظهر التفاح في كل أطباق الطعام في المسلسلات الثلاثة، ولم تظهر حقوله ولا أشجاره. اشهرت (شنتبرية) بغرب الأندلس بإنتاج التفاح، حيث تميز تفاحها بكبر حجمه، وجودة المذاق، وطيب الرائحة. وكان يزرع أيضا في أرياف (وشقة) و(أشبونة) و(لورقة) و(سرقسطة) و(شلب) و(أشكوني) من عمل (تدمير) وغيرها[62]... هذا بالإضافة إلى العديد من الفواكه الأخرى كالكمثرى والجوز واللوز والموالح والموز[63]. كما تجلت التجربة الفلاحية في الإنتاج الزراعي، حيث أنتج الأندلسيون نوعا من الرمان، وهو الرمان السفري، المعروف بنفس الاسم بالمغرب إلى اليوم، نسبة إلى **سفر بن عبيد الأنصاري**، الذي كان له بستان قرب (قرطبة)، جلب إليه هذا الرمان من الشام فغرسه فيه[64]. هذا الرمان الذي لم يظهر بتاتا في أطباق التغذية التي كانت تقدم فوق الموائد. **فماذا عن زراعة الخضراوات؟**

تعرف زراعة الخضراوات التي لم يشر إليها المخرج في المسلسلات الثلاثة على أنها إنماء الخضراوات لغرض الاستهلاك البشري. ومن المحتمل أن هذه الممارسة كانت قد بدأت قبل آلاف السنين في عدة أماكن من العالم، حيث كان المزارع يقوم بإنماء الخضروات إما بهدف استهلاكها أو تسويقها. في البداية كان العمل اليدوي هو الشائع، ولكن بمرور الوقت أصبح بالإمكان تقليب الأرض بواسطة المحراث، تم استخدام طرق جديدة في هذا المجال ومنها الزراعة السقوية المركبة، وأحواض التشجير المرتفعة والحراثة. يمكن إجراء عملية التسويق محليا في أسواق المزارع أو الأسواق التقليدية، أو أن يقوم المزارعون بعقد اتفاق لبيع كامل المحاصيل مع تجار الجملة، أو أصحاب المعلبات أو بائعي التقسيط.

أما بخصوص الخضروات فكانت تزرع في فصل الصيف، مثل: الباذنجان والبطيخ والشمام والخيار والثوم وغيرها، ومنها ما كان يزرع في فصل الشتاء مثل الجزر والقنبيط واللفت والسبانخ وغيرها. كانت الخضروات من الوفرة بحيث كان يصنع منها الفلاحون الكثير من الأشربة والمربات، وكان توافرها على مدار العام قد كفل للفلاحين الاعتماد على نظام غذائي غني[65]. سخر العمال والمهندسون بعدا تقنيا في خدمة الأرض، مستفيدين من تطور علم الحيل (الميكانيكا)، حيث اعتمدوا على آلات متعددة؛ كالشفرة، والمنجل، والبريمة، والسكين، والمنقار، والغربال، والمسحاة والمقراض، والمرجقيل، والأشفى، والفأس، والمهاريس الحجرية[66].

– المبحث الثاني: تربية الماشية

أ– تربية الماشية في الدراما التلفزيونية:

–مشهد الماعز والراعي في مضارب زناتة بقبيلة أبي قرة[67]

–مشهد تربية الأغنام عند المرابطين[68]

–مشهد محمد بن علي وولده إبراهيم العباس ووفدهما يمتطون الخيول والبغال أثناء زيارتهم الخليفة هشام بن عبد الملك[69]

–مشهد عبد الرحمن الداخل وخادمه بدر في مضارب زناتة عند أبي قرة داخل حقول النخيل[70]

–مشهد خروج فرناندو بجيشه لاسترداد طليطلة[71]

–مشهد جيش غالب الناصري[72]

ب– تربية الماشية في المصادر والدراسات التاريخية:

اعتمد **حاتم علي** مشهد الرعي مرة واحدة في الدراما التلفزيونية وبالضبط في مسلسل "صقر قريش" بمضارب زناتة عند قبيلة "أبي قرة". فهل هذا يدل على أن الفلاح الأندلسي لم يكن يمارس الرعي وتربية الحيوان؟ أو أن هذا النشاط اختص به البربر فقط؟ أو قلة الماشية والمراعي ومصادر المياه في الأندلس؟ إن ظهور مهنة الرعي جاء كاستجابة لطبيعية وفرة الماشية، ووفرة المراعي ومصادر المياه في الأندلس، وكذلك كون الرعي وتربية الحيوانات جزء مهم من نشاط الفلاح الأندلسي. ساعد على ذلك توفر كثير من المراعي المتنوعة في أنحاء الأندلس، نظرا لتنوع السطح والمناخ، ومناطق سقوط الأمطار في الشمال والغرب. كما كانت تربية الحيوانات تمارس في الأراضي الزراعية، حيث كان الفلاحون يتركون مواشيهم ترعى بعد جني المحصول لتنقية وتنظيف الأرض، متبعين نظام "استراحة الأرض".

– حيوانات الرعي:

1– **الأغنام**: تلاءمت تربية الأغنام مع الظروف الطبيعية الصعبة في البادية الأندلسية، هذا فضلا عن زيادة الطلب على لحمها وحليبها وصوفها وجلدها. تدار معظم مزارع الأغنام من قبل الراعي ومعه كلب الغنم. المصدر الرئيسي لمزارع الأغنام هو بيع الحملان وجز الصوف وبيعه. يختار المزارعون الأغنام من سلالات ملائمة مختلفة بحسب المنطقة والسوق. أتقن الرعاة الأندلسيون تربية الأغنام وطرق تغذيتها، وأنواع الأعلاف التي تحتاجها، واستخدموا في ذلك أساليب مختلفة لزيادة سرعة تسمينها، كما كانوا على دراية أيضا بدورة الخصوبة.

2-**الماعز**: كان الماعز قليل العدد في الأندلس، ومن الحيوانات القوية التي يمكنها تحمل العيش في بيئات مختلفة، فهي تعيش في أعالي الجبال وفي السهول والواحات والصحاري، جسم الماعز رشيق وقوي ومغطى بالشعر مكنها من إيجاد طعامها بسهولة على الأرض وحتى في تسلقها الشجيرات لأكل أوراق الأشجار والبراعم. يمتاز حليب الماعز بالدسامة العالية. ولا يخلو قطيع الغنم من عدد من الماعز حيث أنها تسبر طريق الرعي أمام بقية القطيع.

انتشرت تربية الأغنام على نطاق واسع في البادية الأندلسية، نظرا لأنها تلاءمت مع الظروف الطبيعية الصعبة، هذا فضلا عن زيادة الطلب على أصوافها لأغراض اللباس خاصة في شتاء الأندلس البارد[73]. انتشرت على وجه الخصوص في سهل (القنيانية لفا) **Campina** جنوب قرطبة، وفي (شنتبرية) حيث كان يقطن مجموعات من البربر مارست حرفة الرعي، وفي جبل الشارات **Sierra Morena** جنوبى (طليطلة) حيث كانت ترى أعداد كبيرة من قطعان الأغنام، ومن هناك كانت تجلب إلى بقية أرجاء الأندلس لجودتها وتميزها، وكانت الأغنام تربي أيضا في أرياف "قادس"، وفي جبال "فحص البلوط"، حيث كان يوجد هناك جبل عرف باسم جبل "الماعز"[74]. كان الماعز قليل العدد في الأندلس، فاختصت بتربيته جزيرة "قادس"، والذي شكل الجزء الأكبر من ماشية هذه الجزيرة، وكان يتغذى على أشجار الصنوبر، والرتم، والخروب[75].

أتقن الرعاة الأندلسيون تربية الأغنام وطرق تغذيتها، وأنواع الأعلاف التي تحتاجها، واستخدموا في ذلك أساليب مختلفة لزيادة سرعة تسمينها، كما كانوا على دراية أيضا بدورة تلاقحها ونتاجها[76]. وكانت قطعان الأغنام تتعرض لأخطار السرقة والنهب أثناء الفتن والاضطرابات والأزمات الطبيعية، أو تصبح عرضة لغارات "الكتاب البرية" مما كان يستدعي اتخاذ بعض التدابير لحمايتها؛ كاتخاذ الكلاب لحراستها[77] وإقامة الزروب (جمع زرب) لحبسها وحفظها بعد رجوعها من المرعى[78].

يمثل الرعي وتربية الحيوانات جزءا مهما من نشاط الفلاح الأندلسي، ساعد على ذلك توفر كثير من المراعي المتنوعة في أنحاء الأندلس نظرا لتنوع السطح والمناخ. وتوزعت مناطق الرعي حول مصادر المياه، كما كانت الحال بالنسبة للأودية الكبرى؛ كالوادي الكبير، ومناطق سقوط الأمطار في الشمال والغرب[79]. شملت مناطق الرعي كل من؛ منطقة وادي (تاجة)، والثغور الشمالية الغربية حول (ألمرية) **Coimbra**، وأرياف (بابرة) و(شلب) و(طرطوشة)، و(شربش) و(بلنسية)، و(جيان) و(إلبيرة) و(إشبيلية) و(طليطلة)، و(فحص مشكيجان) من عمل (لاردة)[80]. كانت تربية الحيوانات تمارس في الأراضي الزراعية، حيث كان الفلاحون يتركون مواشيهم ترعى بعد جني المحصول لتنظيف الأرض، وربما كانوا يتبعون نظام إراحة الأراضي، وعندئذ تترك مساحات فارغة لرعي الماشية أثناء فترة طويلة على مدار العام، كما هو الحال في شمال إفريقية[81].

ارتبطت مزاولة هذه المهنة بالفقراء، فقد كان **عامر بن أبي جوشن بن ذي النون الهواري** فقيرا يرعى الغنم في أول أمره[82]. انتشرت **المراعي** الخصبة في كل من جزيرة (شلطيش)[83] و(قرمونة)[84]، وبالقرب من حصن (لاردة) حيث يوجد فحص "مشكيجان"، وهو كثير الضياع والمزارع والمراعي[85]. أما قلعة (رباح) فإنه يطيب مرعاها، ويزكو طعامها، وتحسن الماشية في مسارحها ولألبانها فضل بائن على غيرها. يوجد في (طرطوشة) جبل كثير الخير والبركة، وفي أعلاه مروج كثيرة المياه والمراعي.[86] تنتشر المراعي الخصبة في جزيرة (ميورقة)، وقد نتج عن ذلك وفرة الماشية ورخصها في هذه الجزيرة[87]. اعتبرت بعض القرى مسارح لرعي الماشية، ترعى فيها دواب أهل القرية على المشاع، وأحيانا كان يتم تقسيمها بين الفلاحين حسب أنصبتهم الزراعية، وكان الرعاة يرعون أحيانا مواشيهم في مسارح القرى المجاورة إذا علموا المسارح في قراهم، وهو ما كان يحدث معه بعض الخلافات مع أصحاب هذه المسارح[88].

– **الماشية:**

1–الأبقار: لم تحضر في ثلاثية الأندلس نهائيا رغم كونها شغلت حيزا هاما ضمن الثروة الحيوانية في الأندلس، لما توفره من لحوم ومنتجات الألبان وخدمة الزراعة في عملياتها المختلفة، وفي نقل وجر العربات. تختلف الأبقار في احتياجاتها المناخية والنباتية عن بعض أنواع الثروة الحيوانية الأخرى، كالخيول مثلا. فهي أقل ارتباطا بظروف معينة، فتوزيعها في الأندلس تأثر بكثافة السكان، وبالقدرة الشرائية، وبتوفير المراعي وتوفر الاعلاف، وبالظروف المناخية، وبالموقع بالنسبة للأسواق، وبمدى الطلب على المنتجات الحيوانية من لحوم وألبان وزبد.

كان للماشية، خاصة الأبقار والثيران دورا مهما في اقتصاديات الفلاح الأندلسي حيث كانت الفاعل الرئيسي في عمليات الحرث والدرس وغيرهما من العمليات الزراعية، هذا فضلا عن دورها كمصدر غذائي، لدرجة أن الفقهاء نبهوا على ضرورة منع ذبح البهائم التي تصلح للحرث والنسل، وأشاروا بإرسال أمناء من ذوي الثقة لمراقبة أماكن الذبح[89]. انتشرت تربيتها على وجه الخصوص في جزيرة (ميورقة) التي وصفها **ابن حوقل** حين زيارته للأندلس سنة 337هـ/ 948م بأنها رخيصة الماشية لكثرة المراعي، غزيرة الإنتاج، وفي أرياف مدينة (سالم) **Medinaceli** كإقليم واسع، وناحية كثيرة المواشي[90]. ازدهرت تربية الأبقار في مستنقعات الوادي الكبير، حيث توفر رعي دائم طوال العام، وفي جبل "الشارات" جنوبي (طليطلة)، حيث كانت تجلب من هناك إلى بقية أرجاء الأندلس. انتشرت تربية الماشية أيضا في أرياف قلعة "رباح" **Calatrava** من أعمال (جيان)، و(لورقة)، و(رية)، و"فحص البلوط"، وأرياف (إشبيلية). احتوت غالبية بيوت الفلاحين على حظائر إقامة الماشية تسمى واحدتها: حيرا، وتجمع على أحيار[91].

2–الخيل: لم تحضر الخيل في الدراما التلفزيونية في الجانب الفلاحي، بقدر ما حضرت بقوة في الجانب العسكري، وكأداة للدبلوماسية من قبل الحكومة الأندلسية، والملوك، حيث شاهدتها في جميع المعارك وبأعداد هائلة. تعرف الخيل الأندلسية الأصيلة بسلالة الحصان الإسباني الأصيل أو خيل الملوك، فهي واحدة من أشهر الخيول الأندلسية ذات الأصول العربية المختلطة. وهي نتاج تهجينها مع الخيول العربية التي تتمتع بجمالها ورشاقتها، وتعد حيوانا مثاليا لمصارعة الثيران لشجاعتها. تتصف أيضا بالقوة والأناقة، وهي طويلة وذكية أيضا، ويسهل قيادتها، وتميل إلى سهولة الانقياد مع الذكاء والحساسية عند معاملتها باحترام، سريعة التعلم والاستجابة والتعاون.

أعطى الأندلسيون أهمية كبيرة لتربية الخيول، فقد كانت تربي في المناطق الرعوية المنتشرة في جهات عديدة من الأندلس، وخصوصا المناطق الداخلية كمدينة (لبلة) التي تعد مركزا هاما لتربية الخيول[92]، ومدينة (سالم)[93] ومدينة (إشبيلية)[94]، اللتان تعتبران المكان الملائم لتربية الماشية وخاصة الخيول[95]. كما تعتبر مدينة (ترجالة) مركزا آخر لتربية الخيول[96]. أما المدن الساحلية فكانت قليلة الاهتمام بتربية الخيول، لأنها من الناحية العسكرية لا تحتاج إلى الخيول، "وأما الثغور البحرية (كألمرية) فليس لها حاجة بالخيل إلا قليلا"[97]. **فلماذا اهتم أمراء بني أمية بتربية الخيول؟**

اهتم أمراء بني أمية بتربية الخيول لدورها العسكري في حفظ البلاد وضبط الأمن فيها، كذلك لاستخدامها في مجال النقل، ومن المرجح أنها استخدمت في نقل البضائع على الطرق البرية الداخلية والمؤدية إلى جنوب فرنسا، والدول الأوروبية الأخرى، نظرا لقوتها وتحملها وعورة هذه الطرق وطول مسافتها[98]. اهتمت الطبقات الثرية من الأندلسيين كذلك بتربية نوع خاص من الخيول مثل الخيل "العراب"، وظل الاعتناء بتربية الخيول العربية مستمرة حتى توافرت وتناجت في الأندلس، ومما يؤكد ذلك ما جاء في محتويات هدية **ابن شهيد** [99] إلى الخليفة **الناصر**، والتي نجد من بينها: مئة فرس، منها خمسة عشر فرسا من الخيل "العراب" المتخيرة الركاب السلطان فائقة النعوت، ومن الخيل مائة فرس، منها من الخيل "العراب" المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا، وخمس من عرض هذه الخيل مسرجة ملجمة لمراكب الخليفة. مجالس سروجها خز عراقي، وثمانون فرسا مما يصلح للوصفاء والحشم[100].

3-البغال: حضرت البغال في الدراما التاريخية خاصة عند الجيوش حيث لا يخلو جيش من سرية جبلية للبغال، والتي تقوم بمساعدة القوات المسلحة في حمل الأحمال الثقيلة في المناطق الجبلية ذات الطرق غير السالكة، والتي قد تصعب حتى على أحدث وسائل النقل العسكرية الحديثة، واستعملت أيضا في الركوب والتنقل وحمل الأثقال. فللبغل صبر الحمار وقوة الفرس، ومقاومة عالية للأمراض، ولكنه عقيم ولا يمكنه التناسل. البغال حيوانات قوية العضلات صغيرة الجسم سريعة الحركة تستعمل في الركوب والجر. تتصف البغال بالعناد فيقال: "عنيد كالبغل". وعندما يقسو عليها سائسها وهي سائرة في أعالي الجبال ترمي بحملها وتنتحر رامية بنفسها من فوق الجبل.

شكلت البغال الوسيلة المثلى لحركة النقل الداخلي، ولهذا اعتنى الأندلسيون بتربيتها وحرصوا على اقتنائها، كانت الأندلس تختص بالبغال "الفره"، وبها يتفاخرون ويتكاثرون. تمتاز بحسن السير وسرعة المشي، وعظم الخلق واختلاف الألوان الصافية مع الصبر على الكد والعسف، وتحمل المشاق، ولهذا اعتنى الأندلسيون بتربيتها[101]. تكثر البغال في (طليطلة)[102]، ومدينة (قرطبة) حيث يجلب منها لتباع كل واحدة منها بخمسمئة دينار[103].

أدرك العلماء أهمية هذه المرحلة التي لم تعرفها أوروبا إلا في مطلع القرن السادس عشر، حتى ازدهت الأندلس بالزراعة والفلاحة، ازدهاء بديعا ضربت به الأمثال، وسار ذكره في الآفاق، مما لا يجهله مطلع على تاريخ هذه البلاد، ولا شك أن استعداد أرضها، واعتدال مناخها، وكثرة أنهارها، كان كل ذلك العامل الأكبر في صلاح هذه البلاد، ونجاح العرب والأمازيغ في استثمارها، واستغلال أرضها، ولقد كتبوا كثيرا من مصنفات في فلاحة الأندلس، بعد أن اطلعوا على فلاحة البلدان الأخرى ودرسوها، و يظهر ذلك جليا في مؤلفاتهم التي "تضمنت معلومات عن أنواع الأرضين، ومصادر المياه، وطرائق استنباطها وقَوْدِها، وأنواع السرقين، وكيفية معالجة التربة من الآفات، وطرائق ممارسة الزراعة والغراسة، والتعريف ببعض الأدوات الفلاحية، وطرائق جنى المحاصيل وتخزينها؛ فإن ما اهتم منها بكتب البيطرة قد ركز على الخيل وشِيّاتها وأوصافها والفروسية والجهاد وكيفية الركوب والمناورة بالسلاح، وعلى بعض الأدواء التي كانت تصيب الدواب. وخلصت إلى أن ما وصلنا عن هذا الفن يقتصر في أغلبه على الطب البيطري النظري، وأن هذا النوع من الممارسة الطبية قد ساد على حساب الطب العملي التطبيقي"[104].

ختاما:

اكتفيت بهذه النماذج من المشاهد والحوارات والنصوص التي تعكس صورا واضحة في المجال الفلاحي والنباتي بالأندلس، ولا يسمح المجال إلى عرض كلها، واكتفيت بهذا الحد الشامل حتى يتبين من حصاده أهمية وقراءة حالة الفلاحة لتكتمل لنا بقية أوجه الصور حول عنصر هام من عناصر العلوم الطبيعية بالأندلس. وخلاصة القول: إن عرب وأمازيغ الأندلس قد سجلوا نتائجهم في كتب عديدة تمثل مجموعة رائعة من آثار البحث العلمي، فمنها: "ما كان ميله نحو الوجهة العلمية التطبيقية، فيعرف الناس بالطرق التقنية الواجب اتباعها واستخدامها لضمان الخص والزيادة في الإنتاج، وتحسين المستغلات كما ونوعا، وخزن الثمار الناتجة عنه والحفاظ عليها من التعفن والفساد... ومنها ما توجه وجهة تطبيقية ثانية تتمثل في درس خواص النباتات الطبيعية وتجربتها، معتمدا على المشاهدة الحسية والتجربة المادية، مدققا مدى صلاحيتها والمقادير الواجب استعماله لمعالجة الأدواء[105]، ومنها ما توجه وجهة علم طريفة، فدقق في وصف النباتات، وتعرف على ذواتها ومنابتها ووصف سوقها وأوراقها وجذورها وأزهارها وثمارها وبذورها، وآلت البحوث إلى التصنيف في عالم البهائم وخصائصها.

يتناول واقع الأنشطة الفلاحية في الأندلس جانبا مهما من جوانب التاريخ الاقتصادي للعصر الوسيط، هذه الفترة التي شهدت تطورات واضطرابات متلاحقة، كانت فيها الفلاحة عصب الاقتصاد الأندلسي، والتي استمدت مظاهر قوتها من عوامل مرتبطة بالمجال والدولة والمجتمع والثقافة، وإن لم تسلم من عوامل أثرت سلبا على بعض حيويته بالإيجاب والسلب إما بسبب المناخ أو الحروب والفتن التي أفضت في النهاية إلى ركوضه وضعف طاقته الإنتاجية، وتراجع حيويته بالجناح الغربي للحوض المتوسطي بالموازاة مع تقلص النفوذ الإسلامي بالأندلس في نهاية العصر الوسيط. خاصة ما تعلق منها بالمجال السياسي، حيث الصراع المتواصل بين من يظفر بميراث الدولة. يساعدنا البحث في موضوع الفلاحة خلال هذه الحقبة من تاريخ العصر الوسيط عامة، وبالأندلس خاصة في الكشف عن صور وواقع هذا النشاط من خلال الإجابة عن

العديد من الإشكالات المتمحورة حول؛ طرق وأنماط الإنتاج وحجمه، والامكانيات التي وفرها هذا النشاط من حيث الكمية والنوعية، وأسباب الوهن والتراجع. واعتقادا منا بأهمية المجال الفلاحي في بناء اقتصاد المجتمع الأندلسي، وتحقيق الاكتفاء الغذائي، وبعث الحياة داخل الأسواق والمدن، وتنشيط التجارة الداخلية والخارجية.

إن الوظيفة التي تنهض بها الدراما والدراما التلفزيونية في تخصيب الخيال التاريخي، وفضاء المعرفة الواسع الذي يجترحه المتلقي من خلال العلاقة النوعية متعددة المظاهر مع الشخصيات والأحداث المتخيلة، دفعت المخرج **حاتم علي** وهو يدرج مشاهد الفلاحة في ثلاثية الأندلس مطية للعبور إلى المتلقي حتى في أكثر جوانب إبداعه الحميمية، وملء الفراغات الدرامية، حيث لم يبق بالإمكان قبول مشاهد الفلاحة على هذا النحو مقارنة على ما جاء في المصادر والدراسات التاريخية، فطغى عليها الشكل الفني الذي يميزها، والمتخيل الواسع الذي ينهل منها، والذي يجعل امكانياتها بلا حدود. بل جعلها أيضا مفتوحة على قراءات وتأويلات. فلم يبق لوظيفة الدراما التلفزيونية، إلا أن تجد طريقها إلى التخييل التاريخي الذي يسمح بإقحام الأهواء والاستيهامات مؤثرة في الواقعة التاريخية متمثلة ومتخيلة، بالإضافة إلى حضور الميتاناصات والميتا تخييل.

الهوامش:

[1]-Pedro Chalmica ;**Sources pour l'histoire socio-économique d'al-Andalus**: **Essai de systématisation et de bibliographie** ; Annales islamiologiques ; Vol. 20 ; 1984 ; P.P. 1-14.

[2]- محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج 2، (بيروت: عالم الكتب، ط 1، 1409هـ)، 579.

[3]- حسن حافظي علوي، **الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط**، (الدار البيضاء: مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، مكتبة المهتدين، منشورات عكاظ، 2010م)، 5.

[4]- عبد الرحمان الناصر مصطفى عبد القادر غنيمات، **علم الفلاحة عند الأندلسيين: دراسة في خصوصية** الفكر العلمي في الأندلس، الرباط، رسالة جامعية نوقشت بكلية الآداب، 1982م)، 136.

[5]- محمد عبد الله عنان، " علماء الزراعة الأندلسيون"، **مجلة العربي**، العدد 144، الكويت، (1970م)، 87.

[6]- حسن حافظي علوي، **الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط**، 6.

[7]- نفسه، 8.

[8]- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ط 1، 1399 هـ - 1979م)، 119-120.

[9]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، 1984م)، 268.

[10]- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين بن الخطيب السلماني، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج 2، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1424هـ)، 146.

[11]- عبد المنعم الحميرى، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 512. أحمد التلمساني المقري، **نفح الطيب**، ج5، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1997م)، 461.

Remiro; **Documentos Arabes de la Corte Nazari de Granada** ; De la Revista de Mariano Gaspar - Archivos ; Bibliotecas y Museos ; Madrid ; 1911 ; P. 7.

[12]- ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج 3، ت. أحمد أمين وآخرين، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1942م)، 92.

[13]- أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، **كتاب الأموال**، تحقيق: عبد الأمير على مهنا، (بيروت: دار الحداثة، ط1، 1988م)، 28.

[14]- الشيخ الفاضل أبو زكرياء يحي ابن محمد بن أحمد ابن العوام الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، ج 1، دراسة وتعليق: غارسيا سانشبر والتفان فرناندير ميخو، (مدريد: نشر خوسيه أنطونيو بانكيرى، 1988م)، 6 - 7.

[15]- أَبُو زَيْدٍ وَلِيُّ الدِّيْنِ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحَسَن بن مُحَمَّد بن جَابِر بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيْم بن عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بن خَلْدُوْن الْحَضْرَمِيُّ الإِشْبِيْلِيُّ الشهير اختصاراً بِابن خَلْدُون، **مقدمة ابن خلدون**، ج 2، تحقيق: علي وافي عبد الواحد، (الجيزة- مصر: دار نهضة مصر، ط 7، 2014م)،911.

[16]- ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبى، **رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة**، نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م)، 2. ابن العوام الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، ج 1، 1- 5.

[17]-Thomas F. Glick ; **Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages** ; Brill NV ; Leiden ; 2005 ; P. 70. Lucie Bolens ; "La révolution agricole andalouse du XI Siècle" ; Studia Islamica ; No. 47 ; Paris ; 1978 ; P.P. 121-141.

[18]- ابن العوام الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، ج،1، 7- 8.

[19]- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب**، ج 3، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1968م)، 165.

[20]- مسلسل ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 1، مشهد خارجي، إنتاج 2003، التوقيت: 40:28 - 43:25.

[21]- M.E. Moreno and others ; **Hydric aspects in Islamic city planning**: **Granada and La vega** (**xi-xv centuries**); Al-Andalus: centuries of upheavals and achievements ; King Abdulaziz public library- Riadh ; Library Committee ; 1993 ; P.P.1- 26.

[22]- Levi-Provemcal ; **Histoire de l'Espagne musulmane**; op. cit; P. 166. Thomas F. Glick ; **Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages** ; Op. Cit ; P. 74. G.k. Al- Alwani ; **thenetwork of irrigation Ditches in the Alpujarra of Granada Al-Andalus Centures of upheavals and achievements** ; King Abdulaziz publiclibray- Riadh ; Library Committec ; 1993. P. P.1- 22.

[23]-Thomas F. Glick ;Op. Cit. P.P. 68-69 ; **Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages**

[24]- عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار**، 36. 37 . 71.

[25]- M.E. Moreno and othesr; **Hydric aspects in Islam**; Op. Cit. P.3.

[26]- ابن بصال، **كتاب الفلاحة**، نشر خوسى ماريا مياس بييكروسا ومحمد عزيمان، (تطوان: معهد مولاي الحسن، 1955م)، 39. 40.

[27]-Joaqui Vallvé ; **El califato de Cordoba**; Madrid ; Editorial Mapfre ; 1992; P. 294.

[28]-Basilio Pavon Maldonado**; Tratado de arquitectura Hispano Musulmana;** I : agua. (iv) Aljibes - puentes - qanats - acueductos - jardines - desagüies de ciudades y fortalezas - ruedas hidráulicas - baños -corachas. 408 pp**;** 153 plates**;** 4 foldout plans**;** Madrid**;** Consejo Superior de Investigaciones Cientificas**;** 1990**;** P. 224.

[29]- أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي التلمساني، أبو العباس المالكي، **المعيار المعرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس وبلاد المغرب**، ج 2، تحقيق: محمد حجي، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، ودار الغرب الإسلامي، 1981م)، 277.

[30]- محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار**، ج 1، 537. حسين يوسف دويدار، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، 138- 422 هـ/ 755-1030م**، (مصر: مطبعة الحسين الإسلامية، ط 1، 1994م)، 344.

[31]- ويليام مونتغمري وات وات، **في تاريخ إسبانيا**، ترجمة محمد رضا المصري، (بيروت: شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، ط 2، 1998م)، 60.

[32]- محمد عبده حتاملة، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة -(دراسة شاملة)**، (الأردن: طباعة مطابع الدستور التجارية، 2000م)، 1029.

[33]- محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار**، 342.

[34]- ابن العوام الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، ج 1، 519- 520.

[35]- ابن بصال، **كتاب الفلاحة**، 173.

[36]- الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، ج 14، (بيروت: دار صادر، ب . ط، ب . ت)، 403. أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله الشهيبر بابن خاقان، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، حقق وعلق عليه: حسين يوسف خربوش، (الأردن: مكتبة المنار للطباعة والنشر، ط 1، 1989م)، 64. ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى، **المغرب في خلي المغرب**، ج 2، حقق وعلق عليه: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ط 4، د.ت)، 312.

[37]- حسن قرني، **المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (422-138)هـ / 756 – 1031 م**)، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2012م)، 109.

[38]- ابن رشد محمد، **فتاوى ابن رشد**، ج 1، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1987م)، 159 -163 -191-192. ابن هشام هشام بن عبد الله أبي الوليد الأزدي القرطبي، **المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام**، مخطوط بخزانة القرويين فاس، رقم 481، 274. ابن عاصم محمد، **شرح تحفة ابن عاصم**، مخطوط بخزانة الجامع الكبير، مكناس، رقم 278، 126أ.

[39]- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين بن الخطيب السلماني، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج 3، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1424هـ)، 292.

[40]- حايك سيمون، **محكمة المياه ببلنسية**، "ندوة ضمن اسهامات العرب في علم المياه والري"، الكويت، 1988م، 204-213.

-Xavier De Planhol ; **Les fondements géographiques de l'histoire de l'Islain** ; Flammarion ; Paris ; 1968 ; P. 289.

- بنحمادة سعيد، **الماء والإنسان في الأندلس، إسهام في دولة المجال والمجتمع والذهنيات**، (بيروت: دار الطليعة، ط1، 2007م)، 33-96.

[41]- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين بن الخطيب السلماني، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج 1، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1424هـ)، 137- 278.

-Leopoldo Torres Balbàs ; **Dar al Arussa y las ruinas de palacios y albercas granadinas siruados por encina del Generalife** ; Revista al- Andalus ; Vol XIII ; 1949 ; P.P. 185- 197. Georges Marçais ; **L'art muslman Quadrige;** /P.Uf ; Paris ; 2éme Edition ; 1981, P.P 130-131.

[42]- محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج 1، (بيروت: عالم الكتب، ط 1، 1989م)، 233. علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (الرباط: دار المنصور، 1972م)، 406.

[43]. مسلسل ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 1، مشهد خارجي، إنتاج 2003، التوقيت: 30:10.

[44]– Miquel Barceló Perelló; **La arqueologia extensiva y el estudio de la creacion del espacio rural en Arqueologia medieval En las alueras del medicvalismo** ; Barcelona ; 1988 ; P.P. 195-274.

[45]- ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي، **رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة**، 56. الطغنري محمد، **زهر البستان ونزهة الأذهان**، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، رقم 1260 د، 49. أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي، **الأحكام**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م)، 262- 263- 293- 295- 327. ابن العوام الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، ج 1، 530- 531.

[46]- ابن بصال، **كتاب الفلاحة**، 55. ابن العوام الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، ج 1، 147.

- Thomas F. Glick ; **Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages** ;Op. Cit. P. 228. Joaqui -Vallvé ; **El califato de Cordoba**; Op. Cit. P.293.

[47]- ابن بصال، **كتاب الفلاحة**، 55.

-Thomas F. Glick ; **Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages** ;Op. Cit. P.P. 75-76-228.

[48]- ابن بصال، **كتاب الفلاحة**، 39- 41- 48.

- Thomas F. Glick ; **Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages** ;Op. Cit. P.75.

[49]- أبي عبد الله محمد بن مالك الطغنري، **زهر البستان ونزهة الأذهان**، (مصر: الدار الدولية للاستثمارات الخارجية، 2005م)، 39- 42- 104. ابن بصال، **كتاب الفلاحة**، 49- 53. أبو الخير الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، 86. ابن العوام الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، ج1، 123- 125- 128.

- Joaqui Vallvé ; **El califato de Cordoba**; Op. Cit. P. 292.

[50]- مسلسل ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 1، مشهد خارجي، إنتاج 2003، التوقيت: 10:43- 10:28- 10:57.

[51]- مسلسل ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 1، مشهد خارجي، إنتاج 2003، التوقيت: 11:07- 11:36.

[52]- مسلسل ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 1، مشهد خارجي، إنتاج 2003، التوقيت: 11:24.

[53]. مسلسل ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 2، مشهد داخلي، إنتاج 2003، التوقيت:44:21.

[54]- ابن عبدون، **رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة**، 5.

[55]-J oaqui Vallvé ; **El califato de Cordoba**; op. cit ; P.P.295. 296. Levi- provencal; **Hist de L'Esp Mus** ; P.P. 162- 163. Thomas F. Glick ; **Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages** ; Op. Cit. P.P. 81-82

[56]-Levi-Provencal; **Histoire de l'Espagne musulmane**; T.111 ; Op. Cit. P.282. Thomas F. Glick ; **Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages** ; Op. Cit. P.297.

-عبد العزيز الأهواني، "ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة"، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، م3، ج1، مايو (1957م)، 127- 157.

[57]-Expiración García Sánchez ; **Agricalture in Muslim Spain the Legacy of Muslim spain**; Leiden; 1992; P.P. 987-1000.

[58]-Levi-provencal; **Histoire de l'Espagne musulmane** ; Op. Cit. P.P. 164-165.

[59]-Expiración García Sánchez ; **Agricalture in Muslim Spain the Legacy of Muslim spain**; Op. Cit. P.P. 987- 999.

[60]- مؤلف مجهول، **كتاب ذكر بلاد الأندلس**، ج 1، 61- 82.

-Levi-Provencal; **Histoire de l'Espagne musulmane**; T.111; Op. Cit. P.277.

[61] **-**Levi- provencal;), Histoire de l'Espagne musulmane; Op. Cit. P.167. Levi- provencal; **Histoire de l'Espagne musulmane** ;T.111 ; P.283. Thomas F. Glick ; **Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages** ; Op. Cit. P. 79.

[62]- مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج 1، تحقيق وترجمة لويس مولينا، (مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، 1983م)، 54. عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 22- 106- 113- 164- 182 -197.

[63] -Expiración García Sánchez ; **Agricalture in Muslim Spain the Legacy of Muslim spain**; Op. Cit. P.P .987- 999. Joaqui Vallvé ; **El califato de Cordoba**; Op. Cit ; P.295.

[64]- أبو عبد الله بن عسكر، وأبو بكر بن خميس، **أعلام مالقة**، تقديم وتخريج وتعليق: عبد الله المرابط الترغي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، ط 1، 1999م)، 350- 351. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج 1، تحقيق: إحسان عباسم، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1900م)، 406.

[65]-Expiración García Sánchez ; **Agricalture in Muslim Spain the Legacy of Muslim spain**; Op. Cit. P.P .987- 999. Joaqui Vallvé ; **El califato de Cordoba**; Op. Cit ; P.295.

[66]- الشعبي عبد الرحمن، **الأحكام**، 198.

-Dozy Reinhart Pieter Anne; **Supplement aux dictionnaires arabes**; Librairie du Liban; Beyrouth ; T. II ; 1968 ; P. 587.

[67]- مسلسل صقر قريش، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 17، مشهد خارجي، إنتاج 2002، التوقيت: 19: 8.

[68]- مسلسل ملوك الطوائف، اخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 6، مشهد خارجي، إنتاج 2005، التوقيت: 9:36.

[69]- مسلسل صقر قريش، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 1، مشهد خارجي، إنتاج 2002، التوقيت: 47: 7 - 19: 8.

[70]- مسلسل صقر قريش، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 17، مشهد خارجي، إنتاج 2002، التوقيت: 32: 8.

[71]- مسلسل ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 9، مشهد داخلي، إنتاج 2005، التوقيت: 12:00 - 12:09.

[72]- مسلسل ملوك الطوائف، ‘خراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 12، مشهد داخلي، إنتاج 2005، التوقيت: 32:15.

[73]-Levi-Provencal ; **Histoire de l'Espagne musulmane**; T.111; Op. Cit ;P.286

[74]- أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، المحقق : عبد العزيز الأهواني، (مدريد: معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، 1965م)، 14.

[75]. الحميري، **الروض المعطار**، 145.

[76]- ابن العوام الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، ج 2، 442- 474 - 475.

[77]- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (الجد)، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل للمسائل المستخرجة**، ج16، حققه: محمد حجي وآخرون، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1988 م)، 242، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، ج 2، 186.

[78]- محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي أبو بكر، **لحن العوام**، تحقيق: رمضان عبد التواب، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 2، 2000م)، 266.

[79]**-**Levi- provencal ; **Histoire de l'Espagne musulmane**; T.111 ; P.285. Thomas F. Glick ; **Islamic**

and Christian Spain in the Early Middle Ages ; Op. Cit; P.P 104- 105.

[80]- مؤلف مجهول، **كتاب ذكر بلاد الأندلس**، ج 1، 74.

[81]-Levi- provencal; **Histoire de l'Espagne musulmane ;** Op. Cit; P. 164.

[82]. العذري أحمد بن عمر، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، 14.

[83]. الحميري، **الروض المعطار**، 344.

[84]. أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار**، عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: إ. لافي بروفنصال، (بيروت: دار الجيل، ط 2، 1988م)، 159.

[85]. الحميري، **الروض المعطار**،507.

[86]- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **أثار البلاد وأخبار العباد**، 545.

[87]- المقري، **نفح الطيب**، ج3 ، 221.

[88]- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (الجد)، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل للمسائل المستخرجة**، ج 10، حققه: د محمد حجي وآخرون، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1988م)، 313-216.

[89]- ابن عبدون، **رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة**، 44.

[90]- محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم، **كتاب صورة الأرض**، ج 1، (بيروت: دار صادر، أفست ليدن، 1938م)، 117.

[91]- محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي أبو بكر، **لحن العوام**، 139.

[92]. ابن غالب محمد، "قطعة من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس"، تحليق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، العدد الأول، القسم الأول، القاهرة، (1955م)،291.

[93]. ابن حوقل، **صورة الأرض**، ج 1، 117.

[94]. ابن غالب محمد، "قطعة من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس"، 293.

[95]. علي بن الحسن بن هبة بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الزهري، **الجغرافية**، تحقيق: شكر الله بن نعمة الله قوجاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982م)، 98.

[96]. الحميري، **الروض المعطار**، 133.

[97]. أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ج4، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط 1، 1423هـ)، 238.

[98]. ابن حوقل، **صورة الأرض**، ج 1، 114- 115.

[99]. أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، **المغرب في حلى المغرب**، ج1، 78.

[100]. ابن حوقل، **صورة الأرض**، ج 1، 114- 115.

[101]. نفسه، 114- 115.

[102]. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، 134.

[103]- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **أثار البلاد وأخبار العباد**، ج 1، (بيروت: دار صادر، د.ت)، 552.

[104]- حسن حافظي علوي، **الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط**، 8.

[105]- محمد سويسي، نماذج من التراث العلمي العربي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001م)، 208.